151585 ـ دراسة حديث أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون

السؤال

كنت أتحدث مع شخص صوفي ، فقال لي : إن هناك حديثاً في مسند الإمام أحمد يقول : (اذكروا الله ذكراً كثيراً حتى يظن الناس أنكم مجانين) فهل هذا حديث بالفعل ، وما صحته ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نص هذا الحديث يروى عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا : مَجْنُونٌ)
رواه الإمام أحمد في " المسند " (18/195، 212)، وعبد بن حميد في " المنتخب من المسند " (1/102)، وأبو يعلى في " المسند " (2/521)، وابن حبان في " صحيحه " (3/99)، والطبراني في " الدعاء " (ص/521)، والحاكم في " المستدرك " (1/677) ، وعنه البيهقي في " شعب الإيمان " (2/64) وفي "الدعوات الكبير " (1/17)، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (رقم/4)، وابن شاهين في " الترغيب في فضائل الأعمال " (رقم/156) ، وابن عساكر في " تاريخ دمشق " (17/220)، والثعلبي في " الكشف والبيان " (8/51)، والواحدي في " الوسيط (3/230).
جميعهم من طريق دراج أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري به .

وقد اختلف أهل العلم في هذا الإسناد على قولين :
القول الأول : أنه إسناد حسن أو صحيح :
قال عثمان بن سعيد الدارمى ، عن يحيى بن معين – في دراج بن سمعان ـ : ثقة .
قال عثمان : دراج أبو السمح ، ومشرح بن هاعان ليسا بكل ذاك ، وهما صدوقان .
وقال عباس الدورى : سألت يحيى بن معين عن حديث دراج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، فقال :
ما كان هكذا بهذا الإسناد فليس به بأس ، دراج ثقة ، و أبو الهيثم ثقة .
وقال ابن شاهين :
ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس .
انظر : " تهذيب التهذيب " (3/209)
وقد صحح ابن معين هذا الحديث عينه – كما في " تاريخ ابن معين " رواية الدوري (4/413) ـ.

وقال الحاكم رحمه الله :

" هذه صحيفة للمصريين صحيحة الإسناد ، وأبو الهيثم سليمان بن عتبة العتواري من ثقات أهل مصر " انتهى.

وصححه ابن حبان بإخراجه في " صحيحه "، ونقل المناوي عن الحافظ ابن حجر تحسينه كما سيأتي نقله في كلام الشيخ الألباني رحمه الله .

القول الثاني : أنه إسناد ضعيف بسبب دراج بن سمعان أبو السمح (ت126هـ)

قال أحمد بن حنبل : حديثه منكر .

وحكى ابن عدى ، عن أحمد بن حنبل : أحاديث دراج ، عن أبى الهيثم عن أبى سعيد : فيها ضعف .

وقال أبو عبيد الآجري ، عن أبي داود : أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم ، عن أبى سعيد .

وقال النسائي : ليس بالقوى . وقال في موضع آخر : منكر الحديث .

وقال أبو حاتم : في حديثه ضعف .

وقال الدارقطني : ضعيف .

وقال في موضع آخر : متروك .

وقال أبو أحمد بن عدي : سمعت محمد بن حمدان بن سفيان الطرائفي ، يقول : سمعت فضلك الرازى ـ وذُكر له قول يحيى بن معين فى دراج أنه ثقة ـ، فقال فضلك : ما هو بثقة ، ولا كرامة له .

وروى له ابن عدي أحاديث ، ثم قال :

وعامة الأحاديث التي أمليتها مما لا يتابع دراج عليه – وذكر منها حديث : (اذكروا الله حتى يقولوا مجنون) ثم قال : ـ وسائر أخبار دراج غير ما ذكرت من هذه الأحاديث يتابعه الناس عليها ، وأرجو إذا أخرجت دراجا وبرأته من هذه الأحاديث التي أُنكرت عليه ، أن سائر أحاديثه لا بأس بها ، وتقرب صورته مما قال فيه يحيى بن معين .

انظر : " تهذيب التهذيب " (3/209)

ولذلك ضعف هذا ابن عدي في " الكامل "، والذهبي في " ميزان الاعتدال " (2/25)، بل حكما عليه بالنكارة ، وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في " السلسلة الضعيفة " ، وقال :

" وأما الذهبي فقد سقط الحديث من " تلخيصه " المطبوع مع " المستدرك " فلم يتبين لي هل تعقبه أم أقره ، و الأحرى به الأول لأمرين :

أحدهما : أنه الذي نعهده منه في غير ما حديث من أحاديث دراج التي صححها الحاكم ، فإنه يتعقبه بدراج ، ويقول فيه " إنه كثير المناكير "

والآخر : أنه أورد دراجا أبا السمح في " الميزان " فقال : " قال أحمد : أحاديثه مناكير و لينه ، ومنه تعلم أن تحسين الحديث كما فعل الحافظ فيما نقله المناوي عنه غير حسن . والله أعلم " انتهى.

" السلسلة الضعيفة " (رقم/517) .

وقال أيضا :

" رأيت الشيخ أحمد الغماري في كتابه " المداوي" يميل إلى تحسين أحاديث دراج عن أبي الهيثم في ثلاثة مواضع ، منه (1/ 278) قال فيه : فدراج أبو السمح يعلم أمره صغار المبتدئين في طلب الحديث ، وله نسخة معروفة ، وكثير من الحفاظ يحسنها .

وفي (1/ 373 ـ 374) قال في الحديث : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد) ، رداً على المناوي تناقضه فيه : بل هو حسن إن شاء الله ؛ لأن نسخة دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد غايتها الحسن .

وهذا تجاهل منه لقاعدة : (الجرح مقدم على التعديل مع بيان المسبب) وهو أن أحاديثه مناكير ـ كما تقدم عن الإمام أحمد وغيره ـ ؛ لكن الرجل يتبع هواه ، وينتصر للصوفية والطرقية الرَقَصَة ، ويرد أقوال الحفاظ إذا ما جرحوا أحداً من الرواة الصوفية مثل : (أبي عبد الرحمن السُلمي)، ومن الدليل على ذلك أنه لما خرج هذا الحديث ؛ نقل تصحيح الحاكم لإسناده مقراً له عليه ، وأتبعه بقوله : وهذا الحديث عظيم الشأن ، جليل المقدار ، يشتمل على فوائد كثيرة ، أوصلها العارف أبو عبد الله محمد بن علي الزواوي البجايي إلى مئة وست وستين فائدة ، في مجلد لطيف سماه : " عنوان أهل السير المصون وكشف عورات أهل

المجون بما فتح الله به من فوائد حديث : (اذكروا الله حتى يقولوا : مجنون) " وقد قرأته وانتفعت به والحمد لله ! .

قلت – أي الشيخ الألباني رحمه الله ـ : من هذا الزواوي البجايي ؟ لا شك أنه من غلاة الصوفية الجاهلين بالسنة المحمدية أو المتجاهلين لها ؛ يدلك على ذلك هذا العنوان الذي أقل ما يقال فيه أنه تنطع بارد ؛ فإن مثل هذه الفوائد المزعومة التي تجاوزت المائة لم يذكر أحد ـ فيما أعلم ـ هذا العدد ولا قريباً منه في حديث صحيح ، وإنما هو من سخافات الطرقيين الذين وضعوا حديث: (أذيبوا طعامكم بذكر الله)، ولله درُّ من قال فيهم :

أيا جيل ابتداعٍ شرُّ جيل *** لقد جئتم بأمر مستحيل

أفي القرآن قال لكم إلهي: *** كلوا مثل البهائم وارقصوا لي! " انتهى.

" السلسلة الضعيفة " (رقم/7042)

وكذا ضعفه محققو مسند الإمام أحمد طبعة مؤسسة الرسالة (18/195)

وعلى كل حال : فالحث على ذكر الله ذكرا كثيرا ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة :

يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الأنفال/45.

ويقول عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) الأحزاب/41

ويقول سبحانه : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) الشعراء/227.

وقال جل وعلا : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب/21.

وقال جل ذكره في جملة صفات عباده الصالحين : (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الأحزاب:35)

اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب/35.

ويقول سبحانه وتعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة/10.

قال ابن القيم رحمه الله :

" قيد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة ؛ لشدة حاجة العبد إليه ، وعدم استغنائه عنه طرفةَ عين ، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له ، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله . وقال بعض العارفين : لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ، ثم أعرض عنه لحظة ، لكان ما فاته أعظم مما حصله " انتهى.

" الوابل الصيب " (ص/89)

وقال أيضا رحمه الله :

" دوام الذكر لما كان سبباً لدوام المحبة , وكان الله سبحانه أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال ، كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد ، وكان عدوُّه حقاً هو الصاد عن ذكر ربه وعبوديته , ولهذا أمر سبحانه بكثرة ذكره في القرآن ، وجعله سبباً للفلاح " انتهى.

" جلاء الأفهام " (ص/339)

والله أعلم .